بسم الله الرحمن الرحيم

المخلّص الموعود، نقاط الاتفاق والتحديات

مصدر مسابقة احتفال ميلاد الإمام المهدي (عج) في مؤسسة الإمام علي (ع) ببوخارست

WWW.IMAMALI.RO

الموعود في الأديان

إن الإيمان بمجيء منقذ عظيم في نهاية التاريخ هو من أعمق وأوسع المعتقدات البشرية انتشاراً. فهذه الفكرة القائلة بأن شخصاً إلهياً أو مصطفى سيأتي في المستقبل ليخلّص العالم من الظلم والفساد، كانت موجودة منذ العصور القديمة في معظم الأديان والثقافات. هذا الاشتراك يدل على أن انتظار المنقذ متجذر في الفطرة الإنسانية، وأن جميع الناس على اختلاف ثقافاتهم وجنسياتهم وأديانهم، يتمنون من صميم قلوبهم تحقق السلام والمودة والعدل في جميع أنحاء العالم ويرعون في نفوسهم انتظاراً لمثل هذه الظروف.

إن البشارة بظهور المخلّص في آخر الزمان هي من التعاليم المشتركة للأديان الإبراهيمية. ففي المسيحية، يُعتبر الإيمان بعودة عيسى المسيح (ع) وحكمه النهائي على أعمال البشر وإقامة ملكوت الله عقيدة قطعية. وفي اليهودية، يُقدَّم الماشيح كشخص من نسل داود (ع) سيعيد حكم بني إسرائيل ويبني هيكل سليمان (ع). كما تحدثت الأديان الشرقية عن مجيء المنقذ الموعود. ففي الهندوسية، هناك وعد بأن كالكي، التجسد العاشر والأخير لفيشنو، سيأتي راكباً حصاناً أبيض ويدمر الشر والظلام. وفي البوذية، يُتحدث عن مايتريا كبوذا المستقبل ومعلم الحقيقة والخلاص، الذي سيجلب السلام والتناغم والمحبة والتحرر من المعاناة للجميع. وفي الزرادشتية، يُسمى المنقذ الموعود سوشيانت ويُقدَّم على أنه من نسل زرادشت والمنتصر النهائي في معركة الخير والشر ومحيي الطهارة والحق.

وفي الإسلام أيضاً، يُعد الإيمان بالمنقذ الموعود من العقائد الضرورية التي لا خلاف فيها، وحتى أهل السنة يعتبرون ظهور شخص باسم المهدي (عج) من ذرية النبي الأكرم (ص) ومن نسل السيدة فاطمة (س) أمراً قطعياً.

معتقد المسلمين المشترك

إن الإيمان بظهور المنقذ وانتظار قيام شخصية موعودة باسم المهدي (عج) من العقائد الأصيلة والعميقة للشيعة، ويشكل جزءاً من هوية وآمال أتباع أهل البيت (ع) المشتركة. وقد أدت أهمية هذه العقيدة ومحوريتها إلى أن يركز أعداء هذا المذهب والذين يسعون لإثارة الخلاف والفتنة بين المسلمين على هذا الموضوع، ويحاولون تقويض هذه العقيدة الأساسية من خلال اختلاق قصص واهية أو تضخيم تفاصيل وهوامش غير مهمة، متهمين الشيعة بالخرافات والبعد عن العقل.

وهذا في حين أن الأدلة المنطقية لهذه العقيدة، وجذورها العميقة في جميع الأديان الإلهية، والوثائق الكثيرة والموثوقة في المصادر الروائية لأهل السنة، قد حوّلت انتظار المنقذ الموعود وفكر المهدوية إلى أساس راسخ لا يمكن المساس به، والذي لا يملك فقط القدرة اللازمة لإيجاد الوحدة والتآلف بين الفرق الإسلامية، بل يمكنه أيضاً أن يوفر أرضية للتعايش والتعاون بين أتباع جميع الأديان الإلهية.

إن العدد الكبير من الأحاديث المتعلقة بالمهدوية في المصادر الموثوقة لأهل السنة ونقل وتأكيد هذا الموضوع من قبل علماء السنة الكبار لا يترك مجالاً للشك في أن الإيمان بظهور المهدي الموعود (عج) ليس حكراً على الشيعة وأن جميع الفرق الإسلامية قد قبلته كعقيدة ضرورية وقطعية. وهذا الأمر واضح ليس فقط في عشرات الكتب والرسائل المستقلة حول الإمام المهدي (عج) التي كتبها علماء أهل السنة، بل تم التأكيد عليه صراحة في الصحاح الستة التي تعتبر من أهم وأوثق مصادرهم الحديثية.

بالطبع، إن رؤية الفرق الإسلامية ليست متطابقة في جميع جوانب وتفاصيل عقيدة المهدوية. فبعض جوانب هذه العقيدة متماثلة ومشتركة بين المذاهب الإسلامية الرئيسية، وفي بعض الأجزاء هناك اختلاف في الرأي. ولفهم الموضوع بشكل أفضل، من الضروري أن نتعرف على نقاط الاتفاق والاختلاف وأن نجيب على الأسئلة والشبهات المحيطة بها.

نقاط الاتفاق

إن تعاليم المهدوية وانتظار منقذ مخلِّص عقيدة مشتركة بين جميع المسلمين، وباستثناء أفراد نادرين مثل ابن خلدون، لم يعارض أي من علماء المسلمين هذا المبدأ. والمعتقدات المشتركة للمذاهب الإسلامية في هذا المجال هي:

١. المنقذ الموعود

في جميع الروايات المتعلقة بالإمام المهدي (عج)، هناك نوع من البشارة والتنبؤ بتحقق ظروف مواتية للأمة الإسلامية بل ولجميع البشر. وأسلوب التعبير عن هذه التنبؤات يتوافق تماماً مع ما ورد في الأديان الإلهية الأخرى حول فترة ظهور المنقذ الموعود.

٢. من نسل النبي الأكرم (ص)

عادةً ما يقترن تأكيد المحدثين على تواتر وصحة الأحاديث المبشرة بظهور وقيام الإمام المهدي (عج) بالإشارة إلى كونه من أبناء النبي (ص) ومن أهل بيته. كما صرح كثير من علماء أهل السنة بأن الإمام المهدي (عج) من نسل فاطمة (س) وعلي (ع).

٣. خليفة رسول الله (ص)

ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم وكثير من المصادر الحديثية لأهل السنة حديث عن النبي الأكرم (ص) أعلن فيه أن عدد خلفائه اثنا عشر. وقد اعتبر كثير من المحدثين الذين أكدوا صحة أو تواتر الأحاديث المتعلقة بالإمام المهدي (عج) أنه هو الخليفة الثاني عشر من خلفاء النبي الأكرم (ص). ويدل على هذا التلازم والارتباط أن أبا داود أورد في سننه حديث الخلفاء الاثني عشر في الباب المتعلق بالإمام المهدي (عج).

٤. اسمه محمد

رغم وجود اختلاف حول اسم والد الإمام المهدي (عج)، إلا أنه لا شك ولا خلاف في أنه يحمل نفس اسم النبي الأكرم (ص). وإضافة إلى التصريح بهذه النقطة في أحد الصحاح الستة، فإن اسمه قد اعتُبر في كلام بعض العلماء الذين ادعوا تواتر العقيدة المهدوية في الإسلام أمراً مسلَّماً ومتواتراً.

٥. لقبه المهدي

في المصادر والنصوص الإسلامية، أكثر من ذكر اسم الإمام الموعود، يُذكر لقبه الأشهر وهو المهدي. إن تسمية مئات الكتب والرسائل باسم المهدي، والتصريح بهذا الاسم في مئات الأحاديث والنصوص التاريخية، واستخدام هذا اللقب في تسمية أبواب وفصول المصادر الموثوقة لأهل السنة، ومحاولة المدعين الكذبة الاستفادة من هذا الاسم، تدل على أن أحداً لم يشك في هذا الأمر.

٦. ظهوره في آخر الزمان

تشير أكثر الروايات والنصوص المتعلقة بالإمام المهدي (عج) المنقولة في المصادر الموثوقة للفرق الإسلامية إلى أنه سيظهر ويقوم في آخر الزمان. والمقصود بآخر الزمان هو الفترة النهائية من تاريخ العالم وقبل وقوع القيامة. وفي بعض هذه الروايات، يُذكر ظهوره أو بعض الأحداث المقترنة بظهور الموعود كعلامات لوقوع القيامة.

٧. قيامه وانتصاره وسيطرته

تخبر الروايات والبشارات المتعلقة بقيام الإمام المهدي (عج) عن قطعية قيامه وانتصاره على الأعداء وحصوله على حكم مقتدر. وبعض هذه الروايات تعتبر نطاق حكمه عالمياً. وعلى أي حال، لا شك ولا خلاف في أن قيادة وحكم الأمة الإسلامية سيكون بيد المهدي الموعود.

نقاط الاختلاف

١. اسم والد الإمام المهدي (عج):

من أهم المسائل الخلافية حول المهدي الموعود (عج) اسم والده. وما سبّب هذا الخلاف عبارة وردت في بعض الروايات مفادها أن النبي الأكرم (ص) أعلن أن المنقذ الموعود سيحمل اسمه واسم والده كاسم والده. ولذلك فإن الرأي السائد بين أهل السنة يعتبر المهدي الموعود شخصاً اسمه محمد بن عبد الله. في حين أن جميع الشيعة الإثني عشرية يعتقدون بلا أدنى شك أن المهدي الموعود (عج) هو ابن الإمام الحسن العسكري (ع)، لأن ذلك قد أُكد في روايات كثيرة عن أهل البيت (ع).

ويعتقد كثير من المحققين أن الجزء المتعلق باسم والده لم يكن موجوداً في الحديث الأصلي للنبي وقد أضيف لاحقاً من قبل أتباع اثنين من مدعي المهدوية كان اسمهما محمد بن عبد الله. ويعتبرون نقل هذه الأحاديث، بدون الجزء المتعلق باسم الوالد، في كتب المحدثين الكبار مثل الترمذي وأحمد بن حنبل دليلاً على رأيهم.

٢. نسبه:

كما أشرنا، لا شك ولا خلاف في أن الإمام المهدي (عج) من نسل الإمام علي (ع) والسيدة فاطمة الزهراء (س)؛ ولكن هل يصل هذا النسب إليه عن طريق الإمام الحسن المجتبى (ع) أم أنه في سلسلة أبناء الإمام الحسين (ع)، أصبح موضوعاً خلافياً بين الشيعة ومجموعة من أهل السنة. وأهم عامل في نشوء هذا الخلاف

حديث مُروي بشكل منقطع في سنن أبي داود ووفقاً له، قال الإمام علي (ع) إن المهدي الموعود (عج) سيكون من نسل ابني الحسن (ع).

هذا في حين أن أهل البيت (عليهم السلام) قد أكدوا في روايات كثيرة على أنه من نسل الإمام الحسين (ع) ويبدو أنه في ذلك الحديث، وقع خطأ عمداً أو سهواً في الكتابة، في كلمة "حسين".

٣. الولادة وطول العمر:

يعتقد الشيعة أن المهدي الموعود (عج) وُلد في منتصف شعبان سنة ٢٥٥ هجرية، وأنه رغم مرور أكثر من ١٢٠٠ سنة على عمره، لا يزال حياً بإرادة الله ومحجوباً عن أنظار الناس. وبغض النظر عن الأدلة المتواترة والقطعية مثل أحاديث الخلفاء الاثني عشر وحديث الثقلين التي بدون الإيمان بولادة وحياة الإمام المهدي (عج) ستفقد رسالتها الأساسية وهي استمرار إمامة الاثني عشر خليفة للنبي الأكرم (ص) حتى يوم القيامة، فمن وجهة نظر الشيعة، هناك وثائق تشهد بأن الإمام الحسن العسكري (ع) وآخرين ممن حظوا بلقائه قد شهدوا بولادة مثل هذا الابن.

أما الرأي السائد بين أهل السنة فهو أن المنقذ الموعود لم يولد بعد وأنه في المستقبل سيولد شخص بتلك المواصفات من نسل السيدة فاطمة (س) وسيملأ الأرض عدلاً. ومع ذلك، فإن عدداً من علماء أهل السنة الكبار قد أشاروا في مؤلفاتهم إلى ولادة ابن الإمام الحسن العسكري (ع) وقبلوا هذا الأمر.

هل الإمام المهدي (عج) حيّ؟

رغم أن لدينا أحاديث وتقارير تاريخية عن ولادة ابن الإمام الحسن العسكري (ع) باعتباره الإمام الثاني عشر من نسل رسول الله (ص)، وهو ما يتوافق مع روايات المذاهب المختلفة حول قرشية الخلفاء الاثني عشر، إلا أن كثيراً من المسلمين لا يثقون بهذه التقارير ولا يعتبرون مثل هذه الوثائق كافية لقبول المعتقدات الدينية.

ولكن إذا جعلنا أساس فهمنا للدين القرآن بدلاً من الحديث، نجد تعاليم لا نشك في أصالتها. فالقرآن في الآية ٧٣ من سورة الأنبياء والآية ٢٤ من سورة السجدة يقدم مقام الإمامة كمقام معنوي وهداية من خلال "الأمر الإلهي"، وفي الآيتين الأخيرتين من سورة يس يعتبر ما يتعلق بعالم "الأمر" أمراً ملكوتياً وفوق أسباب وعوامل العالم المادي.

ومن ناحية أخرى، في الآية ١٢٤ من سورة البقرة تتم الإشارة إلى استمرار مقام الإمامة في ذرية سيدنا إبراهيم (ع)، والآية ٢٨ من سورة الزخرف تخبر عن بقاء مقام الهداية في هذه الذرية. وعندما نضع هذه النقاط إلى جانب آيات مثل الآية ٧ من سورة الرعد التي تشمل هذا اللطف لجميع الأمم، نصل إلى نتيجة مفادها أن القرآن يخبر عن استمرار الهداية الباطنية في جميع العصور.

والآن يجب أن نجيب على هذا السؤال: من الذي تولى هذا المقام الباطني بعد النبي الأكرم (ص)؟ وبدراسة إجابات المذاهب المختلفة على هذا السؤال، نجد أن الحل الوحيد المتوافق مع تعاليم القرآن هو الرؤية التي تعتبر سلسلة الإمامة باقية ومستمرة في أهل البيت، والتي مع الإقرار بالغموض في ولادة وطول عمر الإمام الأخير، تقبل بأنه حي.

في هذه النظرة، بدلاً من اتخاذ الروايات الحديثية أو التاريخية القابلة للنقاش أساساً، نعتبر القرآن الوثيقة الدينية الموثوقة والقطعية، وبدون أن نريد أن نحكم على تفاصيل ما جاء في الروايات، نستفيد من رؤاها القيمة لفهم أفضل للتعاليم القرآنية ونعطي المصداقية للأحاديث المتوافقة مع كتاب الله.

وعليه، يمكن تلخيص الدليل القرآني على حياة الإمام المهدي (عج) على النحو التالي:

١. يقدم القرآن الإمامة كمقام معنوي للهداية الباطنية لجميع الأمم وباقٍ في ذرية سيدنا إبراهيم (ع).

٢. من بين النظريات المطروحة حول خلافة النبي (ص)، فقط ما يقوله الشيعة الاثنا عشرية يتوافق مع القرآن.

ومن المثير للاهتمام أن في كتب الصحاح السنية أحاديث بهذا المضمون أن النبي (ص) أعلن خلفاءه الحقيقيين اثني عشر خليفة، وهذه النقطة لا تتوافق إلا مع رؤية الشيعة الاثني عشرية حول عدد الأئمة وطول عمر آخر خليفة للنبي (ص).

ما هو المهم

رغم أن الإيمان بوجود إمام حي هو واسطة الفيض والهداية الإلهية يخلق نظرة وعلاقة أجمل وأكثر حيوية تجاه الأمور المعنوية، ولكن بالنظر إلى اتفاق جميع المسلمين حول ظهور وقيام المهدي الموعود (عج)، بل وبالنظر إلى الرؤية المتماثلة لأتباع الأديان الإبراهيمية والسماوية والروحية في مجال مجيء المنقذ، يبدو أن النقاش والجدل حول الاختلافات وتفاصيل هذا الموضوع لا يجلب أي فائدة وعملياً لا يُحدث أي تغيير في حياتنا اليوم.

سواء كانوا شيعة اثني عشرية أو أتباعاً لأي من المذاهب السنية، وحتى أولئك الذين يعتبرون أنفسهم أتباعاً لديانات غير الإسلام، فإن كل من يؤمن بوعد الله حول النصر النهائي للحق على الباطل وظهور منقذ البشرية، إذا كان يفكر حقاً في السلام والعدل والأخلاق ويعتبر السبب الرئيسي لانتظاره هو الوصول إلى مثل هذه القيم، يجب أن يُظهر أثر ونتيجة ملموسة لهذا الإيمان في حياته وسلوكه، وجهده ومتابعته في مجال السلام والأخلاق والعدل لن تختلف كثيراً عن أتباع المذاهب الأخرى.

لذا فإن الخطوة الأولى في طريق انتظار ظهور المنقذ هي أن يكون المنتظِرون له طيبين بعضهم مع البعض، ومع التمسك بمعتقداتهم، يحترموا معتقدات الآخرين، وبدلاً من الانخراط في نقاشات وجدالات غير مثمرة حول التفاصيل الخلافية، يركزوا اهتمامهم على المشتركات الإنسانية والروحية. ثم يسعى كل شخص، على أساس المعتقدات التي لديه في هذا المجال، للتمهيد لمجيء الموعود الذي ينتظره جميع طالبي الحق في العالم ويُعِدّ نفسه لنصرته. وفي هذا السياق، بالتأكيد أولئك الذين يعتبرون إمامهم حياً وواعياً بحالهم سيبذلون جهداً أكبر ويستفيدون من الارتباط الروحي معه.

التحديات التي يجب الانتباه لها

كل معتقد صحيح ومفيد معرض للتحريف وسوء الاستخدام وآفات يمكن أن تحوله إلى شيء ضار وخطير. والإيمان بفكر المهدوية ليس استثناءً من هذه القاعدة، فمنذ القرون الأولى للإسلام كان عرضة لتفسيرات جاهلة وخاطئة واستخدامات أداتية للوصول إلى مقاصد مثل السلطة والشهرة والثروة، ولا يزال يمكن أن يتعرض لمثل هذه الآفات. وأهم الآفات والانحرافات التي يجب أن نحذر من الوقوع في فخها هي:

١. ادعاء الاتصال واللقاء

حتى لو قبلنا احتمال أن بعض الأشخاص المختارين قد كان لهم في ظروف خاصة اتصال بالإمام المهدي (عج)، أو أنه أحياناً من وراء حجاب الغيبة قد أظهر هداية واهتماماً خاصاً تجاه شخص ما، فإننا لا نستطيع أن نثق ثقة كاملة بأي ادعاء في هذا المجال. لأنه بغض النظر عن احتمال الكذب وسوء الاستخدام، عادة ما نواجه في مثل هذه الأمور مشاكل مثل التفسيرات الخاطئة والخطأ في التطبيق والأوهام غير المقصودة وغموضاً آخر يمكن أن يبعدنا عن الحقيقة.

لقد حذر القرآن وأهل البيت (ع) مراراً من الاعتماد على الظن واتباع التخمين، واعتبروا أن العامل الرئيسي لانحراف أغلب الذين ضلوا، كان الثقة بشيء غير العلم والمعرفة. وفي موضوع المهدوية يجب أن نحذر أيضاً

من أن لا نُخدع بالأسماء والألقاب والمظاهر المقدسة، وحتى من الشخصيات الكبيرة والأشخاص الذين نثق بحسن نيتهم، يجب أن لا نقبل ولا نرفض شيئاً بدون دليل ووثائق.

٢. ادعاء النيابة

وفقاً لمعتقد الشيعة الاثني عشرية، العصر الحالي هو عصر غيبة الإمام المهدي (عج). في هذه الظروف، الاستفادة من وجوده مثل الاستفادة من نور الشمس عندما تكون مختفية خلف السحاب؛ أي أننا رغم أننا لا نراه وليس لدينا اتصال به، إلا أن نور وجوده يشع على قلوبنا ونتلقى البركات المعنوية من هذا الطريق.

ولكن يجب أن ننتبه إلى أننا في عصر غيبة إمام الزمان (عج) محرومون من إرشاداته المباشرة وليس لدينا الحق في نسبة أي رأي إليه، سواء في المسائل الدينية أو الاجتماعية أو غير الدينية. لأنه لم يتم تعيين أي فرد أو مجموعة معينة كممثل أو نائب للإمام في عصر الغيبة، وأساساً مقام وصلاحيات الإمام المعصوم ليست بحيث يمكن لغير المعصوم أن يتولى نيابته.

٣. تطبيق العلامات وتحديد الوقت

رغم أنه في المصادر الحديثية الشيعية رويت روايات متعددة حول علامات ظهور إمام الزمان (عج)، ولكن أولاً طريقة نقل أي من هذه الأحاديث ليست بحيث يمكن نسبتها بشكل قطعي إلى القادة الدينيين، وثانياً على فرض صحة مثل هذه الأمور، فإن احتمال الخطأ في تحديد المصاديق عالٍ جداً.

بالإضافة إلى سوء الاستخدام المتكرر الذي قامت به تيارات السلطة في فترات مختلفة من أحاديث آخر الزمان وعلامات الظهور والتي يمكن العثور على أمثلتها في التاريخ المكتوب، قد صدرت أيضاً أخطاء عديدة في هذا المجال من علماء وشخصيات لا نشك في حسن نيتهم ولا نعتبر تحليلاتهم مرتبطة بمصالح سياسية.

٤. الانتظار السلبي

خطأ آخر يحدث في فهم مفهوم انتظار المنقذ هو التخلي عن أداء الواجبات والمسؤوليات الذاتية وتأجيلها للمستقبل. يعتقد البعض أنه لأننا وُعدنا بأن جميع المشاكل ستُحل مع ظهور إمام الزمان (عج)، فحتى ذلك الوقت لا حاجة للجهد من أجل التقدم الشخصي أو مواجهة الانحرافات الاجتماعية، أو أن هذه الجهود لا تؤدي إلى أي نتيجة، وهكذا يتهربون مما يضعه العقل والمنطق على عاتقهم.

هذا في حين أنه وفقاً للروايات الإسلامية، تم تقديم انتظار الفرج كـ "أفضل الأعمال" مما يدل على أن الانتظار الحقيقي هو نوع من الجهد والعمل في اتجاه الاقتراب مما نتوق للوصول إليه، وليس السكون والخمول. المنتظِر الحقيقي هو الذي يسعى لإصلاح نفسه والمجتمع، لا يسكت أمام الظلم والجور، ومن خلال التعلم واكتساب المهارات يُعِدّ نفسه لنصرة إمام الزمان (عج)؛ وهو مع الأمل بمستقبل مشرق، لا يغفل عن واجباته الحالية ويعلم أن تهيئة المجتمع للظهور يتطلب جهداً ونضالاً مستمراً.

٥. ترويج الخرافات

إن وجود الغموض والتعقيد في موضوع غيبة وظهور الإمام المهدي (عج) وخفاء كثير من أسراره قد خلق أرضية مناسبة للتخمينات وترويج تصريحات ليس لها أساس في مجال المهدوية. هذه الآفة تشمل أموراً كثيرة مثل وضع ونقل روايات مختلقة وضعيفة، وإعطاء المصداقية للأحلام والأوهام، ونسبة كرامات ومعجزات غير مستندة إلى أشخاص مختلفين، والاعتقاد بتأثير أعمال معينة في تعجيل أو تأخير الظهور، ومزج المعتقدات غير الإسلامية مع تعاليم المهدوية الأصيلة.

لمواجهة هذه المشكلة، من الضروري أنه مع الرجوع إلى المصادر الشيعية الموثوقة والأصيلة والاستفادة من آراء العلماء الدينيين في فهم الروايات، نمتنع عن القبول غير المشروط لادعاءات الأشخاص، ومن خلال تقوية التفكير النقدي والاكتفاء بما هو واضح ويقيني، نمنع انتشار هذه الخرافات في المجتمع.

على أمل تحقق وعد الأنبياء والأولياء الإلهيين وظهور منقذ البشرية ومقيم السلام والعدل والحرية.

اللهم عجل لوليك الفرج